كايات كليلة ودمنة

8

الحمامة المطوقة

بقلم د. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة د. عبد الشافي سيد
إشراف د. حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت [illegible]
فاكس [illegible]

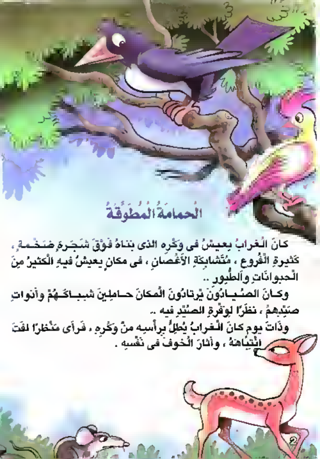

الْحمامَةُ الْمُطوَّقَةُ

كانَ الْغرابُ يعيشُ فى وَكْرِه الذى بَناهُ فَوْقَ شَجَرةٍ ضَخْمةٍ ، كَثيرةِ الْفُروعِ ، مُتَشابِكَةِ الأَغْصانِ ، فى مكانٍ يعيشُ فيهِ الْكثيرُ مِنَ الْحيوانَاتِ والطُّيورِ ..

وكانَ الصَّيادُونَ يَرتادُونَ الْمكانَ حامِلِينَ شِباكَهُمْ وأَدَواتِ صَيْدِهِمْ ، نظرًا لِوَفْرَةِ الصَّيْدِ فيه ..

وذاتَ يومٍ كانَ الْغرابُ يُطِلُّ برأسِه منْ وَكْرِهِ ، فرَأى مَنْظرًا لفَتَ انْتِباهَهُ ، وأثارَ الْخوفَ فى نَفْسِه .

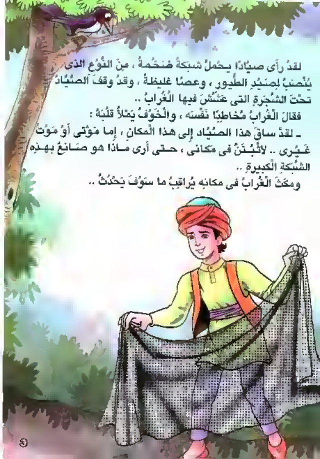

لقدْ رأَى صيَّادًا يحملُ شبكةً ضَخْمةً ، منَ النَّوعِ الذى يُنْصَبُ لِصَيْدِ الطُّيورِ ، وعصًا غليظةً ، وقدْ وقفَ الصيَّادُ تحتَ الشَّجَرةِ التى عَشَّشَ فيها الْغُرابُ ..

فقالَ الْغُرابُ مُخاطِبًا نَفْسَه ، والْخَوْفُ يَمْلأُ قلْبَهُ :

ـ لقدْ ساقَ هذا الصيَّاد إلى هذا الْمكانِ ، إما مَوْتى أوْ مَوْت غَيْرى .. لأثْبُتَنَّ فى مكانى ، حتى أرى ماذا هو صانعٌ بهذِهِ الشَّبكةِ الْكبيرةِ ..

ومكثَ الْغُرابُ فى مكانِه يُراقِبُ ما سَوْفَ يَحْدُثُ ..

أَمَّا الصَّيَّادُ فَإِنَّهُ نَصَبَ شَبَكَتَهُ بِكُلِّ إِحْكَامٍ وَدِقَّةٍ ، وَأَخْفَى أَطْرَافَهَا على قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ .. ثُمَّ نَثَرَ عَلَيْهَا الْحُبُوبَ ، وَاخْتَبَأَ بَعِيدًا عَنْهَا ، فِى انْتِظَارِ الطَّيْرِ الذى يَقَعُ فِيهَا ..

وَلَمْ يَمْضِ كَثِيرٌ مِنَ الْوَقْتِ ، حَتَّى جَاءَتْ حَمَامَةٌ تُدْعَى الْحَمَامَةَ الْمُطَوَّقَةَ .. كَانَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ هِى سَيِّدَةَ الْحَمَامِ كُلِّهِ ، وَكَانَ يَطِيرُ خَلْفَهَا سِرْبٌ كَبِيرٌ مِنَ الْحَمَامِ ..

وَلَمَّا رَأَتِ الْمُطَوَّقَةُ الْحَبَّ مَنْثُورًا عَلَى الأَرْضِ هِى وَبَاقِى الْحَمَامِ ، فَرِحْنَ بِهِ ، وَنَزَلْنَ لالْتِقَاطِهِ ، فَعَمِينَ عَنْ رُؤْيَةِ الشَّبَكَةِ الْمَنْصُوبَةِ لِصَيْدِهِنَّ ..

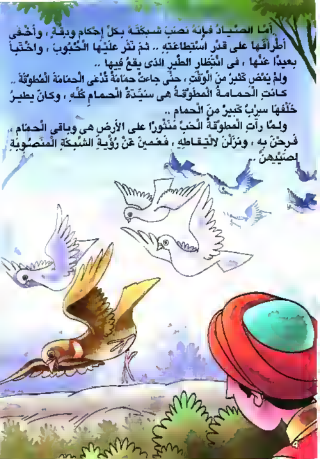

وفى لحْظةٍ وقعَ الْحمامُ كلُّهُ فى الشَّبكةِ ..

وأخذتْ كُلُّ حمامةٍ تضْربُ الشَّبكةَ بجناحيْها للخلاص منْها ، والنَّجاةِ بنفْسِها ، دُون جدْوى ، ودُون أنْ تستطيع واحدةٌ منْهُنَّ فكاكًا من الشَّبكةِ ..

فلمَّا رأت الْحمامةُ الْمطوَّقةُ ذلك - وكانتْ أرْجحهُنَّ عقْلاً ، وأكثرهُنَّ حِكْمةً - فكَّرتْ بسُرْعةٍ فى الْمأْزق الذى وقعْن فيه ، ورأتْ بثاقب فِكْرِها أنَّهُ لا نجاة لهُنَّ جميعًا إلا بالتَّعاوُن على دفْع هذا الْبلاءِ ..

ولذلك وجَّهت الْمُطوَّقةُ حديثًا إلى باقى الْحمام قائلةً :

- يجبُ أنْ تكُفَّ كلُّ واحدةٍ عنْ مُحاولة مُساعدة نفْسها فقطْ ، حتى تنْجُو وحْدها ، لأنَّهُ لا نجاة لواحدةٍ منَّا دُون نجاة الْجميع ..

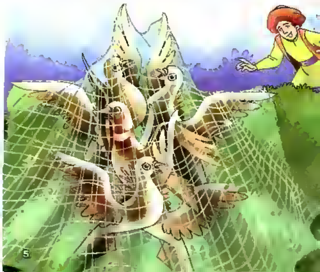

فقالتْ إحْدى الْحماماتِ :

ـ وكيْفَ يكونُ ذلكَ ؟!

فقالتِ الْمطوَّقةُ :

ـ إذا تعاونَّا كلُّنا أمْكنَنا قلْعُ الشَّبكةِ والطَّيرانُ بها ، فنَنْجُو جميعًا ..

واسْتَحْسَنَ الْجميعُ الْفِكْرةَ ، وبدأتْ كلُّ واحدةٍ منْهُنَّ تسْتَجْمعُ كلَّ قُواها للطَّيرانِ بالشَّبكةِ دفْعةً واحدةً ..

وفى اللَّحْظةِ التى كانَ الصَّيادُ يسْتَعدُّ فيها للانْقِضاضِ على الشَّبكةِ فرحًا بصَيْدِهِ الثَّمينِ ، طارَ الْحمامُ بالشَّبكةِ ..

ارْتَفعتِ الشبكةُ فى الْفضاءِ وبداخلِها الْحمامُ ..

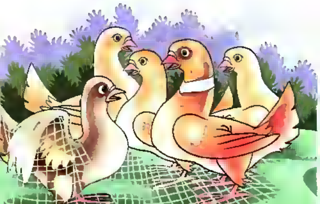

وتعجَّبَ الصيَّادُ ممَّا رأى ، لكنَّهُ لمْ يقطعْ رجاءَهُ مِنَ الحُصُولِ على الصَّيدِ ، بلْ قالَ مُمنِّيًا نفسَه :

ـ سَرُعانَ ما يتْعبُ الْحمامُ مِنْ حمْلِ الشَّبكةِ والطَّيرانِ بها ، وسَرُعانَ ما يقَعُ بالشَّبكةِ على الأرضِ فآخُذُه .
يجبُ أنْ أتْبعهُمْ عنْ قُرْب ..

وسارَ الصيَّادُ يتْبعُ الْحمام فى طيرانه بالشَّبكةِ ، والْغُرابُ يتْبعُ الْجميعَ ليرى ما يَحْدُثُ ..

والْتفتتِ الْحمامةُ المطوَّقةُ ، فلمَّا رأتِ الصيَّادَ يتبعُهُنَّ عنْ قُرُبٍ وكلُّهُ إصْرارٌ على اللَّحاقِ بهنَّ ، قالتْ مخاطبةً الْجميعَ :

ـ أرى الصيَّادَ مُجدًا في طلبنا .. إذا ظللْنَا طائراتٍ في الْفضاءِ سَهُلَ عليْهِ تتبُّعُنا واللَّحاقُ بنا ، ولا بُدَّ أنهُ الآنَ يُمنِّى نفْسَهُ بصيْدِنا ..

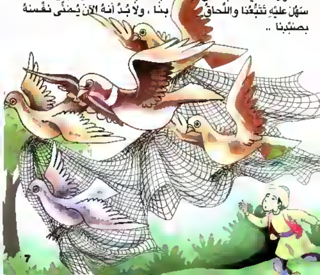

فقالتْ حمامةٌ :

ـ وبماذا تشيرينَ علينْا أنْ نَفعلَ ؟!

فقالتِ المطوّقةُ :

ـ يجبُ أنْ نتوجّهَ إلى العُمْرانِ .. إذا طِرْنا فوقَ إحْدى المُدنِ ، خَفِيَ على الصيّادِ أمْرُنا ، وصعُبَ عليْهِ تَتبُّعُ خُطُواتِنا ..

وقالتْ حمامة أُخْرَى :

ـ وماذا بعْدَ ذلكَ ؟ هلْ نظلُّ طائراتٍ بالشبكةِ هكذا إلى ما لا نهايةَ ؟!

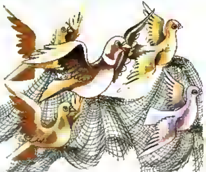

إنّنا لنْ نحْتملَ ذلك طويلاً .. سنرْعانَ ما نتْعبُ ونسْقطُ بالشبْكةِ ، فيأخُذُنا أيّ عابرِ سبيلٍ صيْدًا سهْلاً ..

فقالتِ المطوّقةُ :

ـ لا تخْشَيْنَ منْ ذلك شيْئًا ، فأنا أعرفُ منْ يستطيعُ تخليصنا جميعًا منْ هذه الشبْكةِ ..

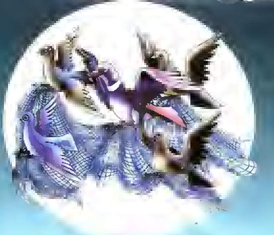

وقالتْ حمامةٌ ثالثةٌ :

ـ منْ هو الّذى يسْتطيعُ تخْليصنَا من هذه الشبْكةِ اللّعينةِ ؟!

فقالتِ المطوّقةُ :

ـ إنى أعْرفُ جُرَذًا يَعيشُ فى جُحْرٍ قريبٍ منْ هُنا ، إذا ذهبْنا إليْهِ قرضَ حبالَ الشّبكةِ وخلّصَنَا منَ الأسْرِ ..

هذا الْجُرَذُ بِمثابةِ الأخِ والصديقِ ، ولنْ يُرْضِيَهِ أنْ يرانى فى هذه الشَّبَكَةِ ..

واتَّجَهَ سِرْبُ الْحمامِ إلى الطَّيرانِ فوْقَ إحْدَى الْمُدنِ الْقريبةِ ، فعجَزَ الصيَّادُ عنْ مُتابعَةِ حركَتِهِمْ ، وعادَ منْ حَيْثُ أتى ..

أمَّا الْغُرابُ فظلَّ طائرًا خلْفَهُمْ يتَتَبَّعُهمْ عنْ قُرْبٍ ، وهو مُعْجَبٌ بذكَائِهِمْ وإصْرارِهِمْ ..

وصلَتِ الْحمامَةُ الْمطوَّقةُ إلى الْجُحْرِ الذى يَعيشُ فيهِ صديقُهَا الْجُرَذُ ، فنَزَلَ الْجميعُ بالشَّبَكَةِ قريبًا مِنْ بابِ الْجُحْرِ ..

ونادتِ الْحمامَةُ الْمُطَوَّقَةُ صديقَهَا الْجُرَذَ ، فلمَّا سمعَ صوْتَها وتأكَّدَ منْهُ أطَلَّ برأسِهِ منَ الْجُحْرِ .. ثم بانَ الْحزنُ والْفزَعُ عليْهِ واتَّجهَ إليْها قائلاً :

- ما الَّذى أوْقعَكِ فى هذا الْمأزِقِ يا مُطوَّقَةُ ؟!

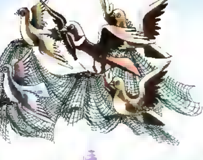

ووقفَ الغرابُ قريبًا ، ليرى ما يحدُثُ ويسمعُ ما يدُورُ ، فقالتِ المطوقةُ :

- ألمْ تعلمْ أنَّه ليْسَ مِنَ الخَيْرِ أو الشرِّ شَيْءٌ ، إلا وهوَ مقدَّرٌ ومكتُوبٌ على كلِّ مَنْ تُصيبُهُ المقاديرُ ، وهو الذى أوقعَنى فى هذه الشبكةِ ..

فقالَ الجُرَذُ :

- صدقتِ يا مُطوّقةُ ..

وأضافتِ المطوّقةُ قائلةً :

- وقدْ لا يمتنعُ مِنَ الوُقوعِ فى الشَّراكِ مَنْ هو أقْوَى منِّى وأعظمُ قدرًا .. لقدْ جِئتُكَ حتَّى تقْرضَ حبالَ الشبكةِ وتُخلِّصنا بأسرعِ ما تقدرُ منْ هذا الأسْرِ ..

فقالَ الجُرَذُ :

- حالاً ..

وبدأ الجرذُ فى قرْضِ جُزْءِ الشبكةِ الذى تعلقتْ فيه أرْجلُ الحمامةِ المطوّقةِ .

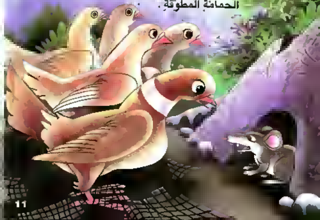

فقالتِ الْمطوّقةُ :

ـ ابدأْ بقَرْضِ بَقيةِ الشبَكةِ ، حتى تُخَلِّصَ سائِرَ الْحمامِ أوّلاً .. ثمَّ تَقْرِضُ الْجزْءَ الذى أنا فيهِ وتخَلِّصنى ..

ولكنَّ الْجُرَذَ لمْ يستمِعْ إلى نصيحتِها ، واستمرَّ فى قرْضِ حِبالِها هى ، فأعادَتْ عليْهِ الْقوْلَ عدّةَ مرّاتٍ ، وهو مُسْتَمِرٌّ فى عَمَلِهِ دُونَ أنْ يلْتَفِتَ إلَيْها ، فلمّا كرّرتْ عليْهِ ذلك كَثيرًا الْتَفَتَ إليها قائِلاً :

ـ لقدْ كرَّرْتِ علىَّ كَثيرًا ، كأنَّكِ ليْسَ لك فى نَفْسِكِ حاجَةٌ ، ولسْتِ مُشْفِقَةً عليْها ؟!

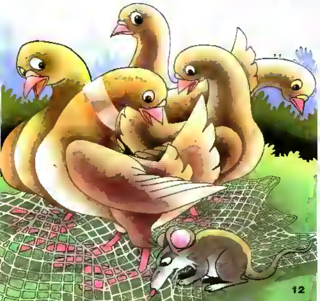

فقالتِ المطوقةُ :

ـ إنى أخافُ إذا أنْتَ بدأْتَ بقَطْعِ حِبالى أنْ تتْعَبَ وتَملَّ فتكْسَلَ عنْ قَطْعِ حبالِ بَقِيَّةِ الْحمام ، فأكونُ قدْ خَلَصْتُ نَفْسِى ، وتركْتُ رَفيقاتِى ، وهذه هى الأنانيةُ بِعَيْنِها وحُبُّ النَّفْسِ .. أمّا إذا بدأْتَ بقَطْعِ حِبالِ بقِيَّةِ الْحمامِ ، وكُنْتُ أنا الأخيرةَ ، فإنّكَ لنْ ترْضَى أنْ تَتْرُكَنِى فى الأَسْرِ ، حتى لَوْ أدْرَكَكَ التَّعَبُ والْفُتُورُ ..

فأبْدَى الْجُرَذُ إعْجابَهُ برَجَاحةِ عقْلِها ، وحُسْنِ تفْكيرِها وقالَ :

ـ صدقْتِ يا مُطَوَّقَةُ .. ليْسَ عَبَثًا أنْ تكونى سَيِّدَةَ الْحَمامِ .. إنَّ هذا ممَّا يَزِيدُ فى مَوَدَّتِكِ وصداقَتِك ..

وأَخَذَ الْجرذُ يعملُ بهمَّةٍ ونشَاطٍ ، حتى خلَّصَ كلَّ الْحمامِ من الشَّبَكةِ وأَطْلَقَ سَرَاحَهُ ..

فشكَرتْهُ الْمطوَّقةُ ، وطارتْ معَ باقى الحمامِ ، والْجميعُ فَرِحٌ بنجَاتِهِ ونَيْلِ حُرِّيَّتِه ..

(تَمَّتْ)

السمكاتُ الثلاثُ

كانتْ ثلاثُ سمكاتٍ تعيشُ معًا فى غَديرٍ ..

وكانَ ذلك الغديرُ فى مكانٍ مُرْتفعٍ منَ الأرْضِ .. وكانَ بقُرْبهِ نهرٌ جارٍ كثيرُ المياهِ .. ولمْ يكنْ يقربُ الغَديرَ أحَدٌ للصيْدِ ، لبُعْدِهِ عنْ مكانِ العُمْرانِ ..

وكانتْ إحْدى السمكاتِ الثلاثِ تسمَّى الذكيَّةَ ..

وكانتِ الثانيةُ تُسمَّى الأذْكى مِنْها ..

أمَّا الثالثةُ فكانتْ تُسمَّى العاجِزةَ الرأْى ..

وذاتَ يومٍ مرَّ بجوارِ الغديرِ صيَّادانِ وشاهَدا ما فيهِ منْ سمكٍ كثيرٍ ، فاتَّفقاً على أنْ يعَودا إليْهِ بِشِباكِهما ، ويَصيدا كلَّ ما فيهِ منْ سمكٍ .. ثم انْصرفا ..

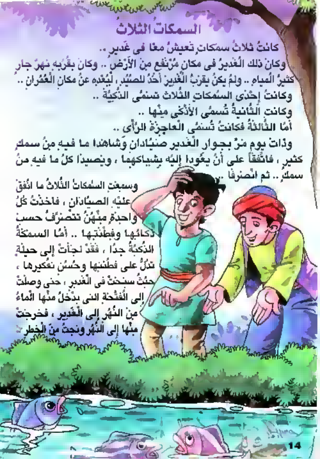

وسمعتِ السمكاتُ الثلاثُ ما اتَّفقَ عليْهِ الصيَّادانِ ، فأخذتْ كلُّ واحدةٍ منْهُنَّ تتصرَّفُ حسبَ ذكائِها وفِطْنتِها .. أمَّا السمكةُ الذكيَّةُ جدًا ، فقدْ لجأتْ إلى حيلةٍ تدلُّ على فطْنتِها وحُسْنِ تفكيرِها ، حيْثُ سبحتْ فى الغديرِ ، حتى وصلتْ إلى الفُتْحةِ التى يدْخلُ منْها الماءُ منَ النَّهْرِ إلى الغديرِ ، فخرجتْ منْها إلى النَّهْرِ ونجتْ منَ الخطرِ

وأمّا السمكةُ الذكيّةُ ، فإنها مكثَتْ فى مكانها بالغدير ، حتى جاءَ الصيّادان ، فلمّا رأتْهما وتأكّدتْ أنهما جاءا لصيْدِ كُلِّ السمكِ الذى بالغدير ، أخذتْ تبحثُ عنْ وسيلةٍ للنجاةِ ، وحاولتْ أنْ تفعلَ مثلما فعلتْ صاحبتُها الأولى ، وتخرجَ منْ فتحةِ الغدير ، لكنّها فوجئتْ بأنّ الصيّادَيْنِ قدْ سدّا فتحةَ الغدير عليْها ، فلمْ تستطعِ الخروجَ كما فعلتْ صاحبتُها ، فحزنتْ وقالتْ فى نفسِها :

ـ لقدْ قصّرْتُ عن المسارعةِ إلى النّجاةِ فى الوقتِ المناسبِ بعدَ أنْ علمْتُ بالخطرِ .. يجبُ أنْ أبحثَ عنْ حيلةٍ أخرى للنّجاةِ ، وقلّما تُفْلحُ الحيلةُ مع العجلةِ .. لكنّ العاقلَ يجبُ ألا ييأسَ أبدًا ، حتى فى أشدِّ أوقاتِ الضّيقِ والخطرِ ..

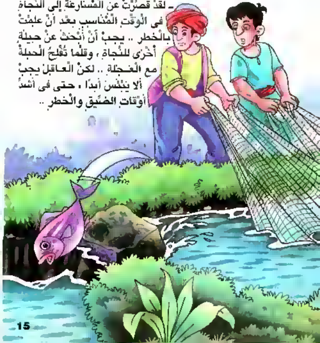

وبعدَ قليلٍ وانتَبَهَا فكْرةٌ فقرَّرَتْ أنْ تُنفِّذَها ، فرُبَّما أفلحتْ ونَجتْ .. لقدْ تظاهَرَتْ بالمَوْتِ ، فراحتْ تطفُو على وجْهِ الْماءِ ، مُنْقلبةً على ظَهْرِها تارةً ، وعلى بطْنِها تارةً أُخْرَى ، وهى تقْتَرِبُ مِنَ الصيَّادَيْنِ ..

ورآها أحدُ الصيَّادَيْنِ ، فأخذها وألْقَى بها على الشَّطِّ بيْنَ الْغَدِيرِ والنَّهْرِ ، ظنًّا منْهُ أنها ميِّتَةٌ ..

وانْتَهَزَتِ السَّمكَةُ الْفُرْصَةَ ، فقفزَتْ إلى النَّهْرِ ونجَتْ فى آخِرِ لَحْظَةٍ بفضْلِ حيلَتِها ..

أمَّا السَّمكَةُ الْعاجزَةُ ، قاصِرَةُ الرَّأْيِ ، فإنها لمْ تستَطِعْ أنْ تفْعلَ شيئًا ، فأخذتْ تتقدَّمُ مرَّةً ، وتتأخَّرُ أُخْرَى ، حتى رآها الصيَّادانِ فاصْطاداها ..

(تمَّتْ)

رقم الإيداع : ٣٧٤

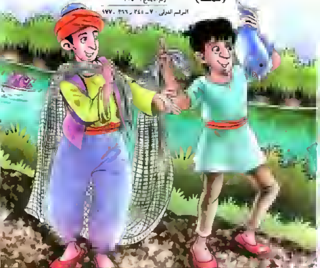الرقم الدولى : ٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٢٤٥ ـ ٧